قسم اللغة والأدب العربي_جامعة أم البواقي_

محاضـرات مـادة (النحو الوظيفي) السنة ثالثة ليسانس، تخصص: لسانيــات عامة

إعداد الأستاذة: هندة كبوسي

المحاضرة رقم: 05

يوم:2020/04/14

عنـوان المحاضرة: مبادئ النحـو الوظيفي-02-

الهدف من المحاضرة:

-تعرّف الطالب على الأسس النظرية والمنهجيّة لنظرية النحو الوظيفي، وعلى ما يخالف بينها وبين المنحى الصوري الوصفي.

تمهيد:

الكفاية التفسيرية لنظرية النحو الوظيفي ثلاث كفايات* مترابطة متكاملة: "الكفاية التداولية" و"الكفاية النفسية" و"الكفاية النمطية".

1_الكفاية التداولية:

من التحديدات الواردة في كتاب ديك (ديك 1997) للكفاية التداولية التحديد الآتي "على النحو الوظيفي أن يستكشف خصائص العبارات اللغوية المرتبطة بكيفية استعمال هذه العبارات وأن يتم هذا الاستكشاف في إطار علاقة تلك الخصائص بالقواعد والمبادئ التي تحكم التواصل اللغوي. ويعني هذا أنه يجب أن لا نتعامل مع العبارات اللغوية على أساس أنّها موضوعات منعزلة بل على أساس أنّها وسائل يستخدمها المتكلم لإبلاغ معنى معيّن في إطار سياق تحدّده العبارات السابقة، وموقف تحدّده الوسائط الأساسية لموقف التخاطب".

* المحاضرة رقم 05 هي امتداد للمحاضرة رقم 04 كونهما تختزلان أهم مبادئ النحو الوظيفي.

من هذا التّحديد للكفاية التداولية استخلص أحمد المتوكل مطالب ثلاثة:

أولها: أنّ للعبارات اللغوية بعدا تداوليا قائم الذّات يتمثل في خصائص معيّنة متميّزة* عن الخصائص الدلالية والتركيبية.

ثانيهما: أنّ هذا البعد التداولي مرتبط بالسياقين اللغوي والموقفي اللذين يرد فيهما استعمال العبارات.

أما ثالثهما: وهو الأهم، فإنّ على النحو الوظيفي الطامح للكفاية التداولية أن يأخذ بعين الاعتبار الخصائص التداولية للعبارات اللغوية في ارتباطهما بسياق استعمالها.

2_الكفاية النفسية: L'adéquation psychologique:

تعتمد نظرية النحو الوظيفي على أبحاث علم النفس بصفة عامة وعلم النفس المعرفي (psychologie cognitive) وعلم اللغة النفسي (psycholinguistique) بصفة خاصة، في مجال اكتساب اللغة وتعلّمها بصفة عامة، وفي مجال الإدراك وآليات فهم اللغة وإنتاجها بصفة خاصة.

ففي المجال الأول تفيد نظرية النحو الوظيفي من مستجدات النظريات المعرفية، وأهمها حاليا نظرية جهاز اكتساب اللغة (المعروفة اختصارا بـ "LAD" أي " Language Aquisition" الفطري لتشومسكي ونظرية بياجيه (Jean Piaget) البنائية (constructivism) ومفادهما أنّ عملية اكتساب الطفل للغة قائم على التفاعل القائم بين عامل الفطرة وعامل المحيط الاجتماعي الذي ينمو فيه الطفل، إلاّ أنّ هناك خلافا حادّا بينهما حول تغليب العامل الأول أو العامل الثاني وتميل نظرية النحو الوظيفي كباقي النظريات ذات التوجه الوظيفي إلى النزعة الأولى؛ إذ إنّها تقارب إشكال اكتساب اللغة على أساس أنّ هذا الاكتساب مسلسل تدريجي قائم على تفاعل الطفل النامي مع محيطه اللغوي. إلا أنّه لا يصّح أن نستنتج من هذه المقاربة أنّ النظريات الوظيفية ترفض العامل الفطري رفضا تاما، بل إنّ كل ما يسوّغ استنتاجه هو أنّ هذه النظريات تغّلب عامل المحيط اللغوي وتعلم الطفل اللغة من خلال تفاعله مع هذا المحيط على العامل الفطري الذي ترجئه، كما يقول ديك، لتفسير ما تعجز العوامل الأخرى عن تفسيرها.

* الخصائص التداولية في نظرية النحو الوظيفي بطبقة خاصة ترصد فيها القوة الإنجازية بنوعيها الحرفية والمستلزمة.

ليتساءل أحمد المتوكل بعدها عن الكيفية التي يمكن على أساسها إدراج نموذج مستعملي اللغة الطبيعية في مسلسل اكتساب اللغة من المنظور الوظيفي، محاولا في الأخير اقتراح مشروع جواب حمّل عناصره الكبرى فيمايلي:

أ–أن يتعلم الطفل اللغة من خلال تعامله مع المعطيات المتوافرة في محيطه اللغوي.

ب–أثناء هذه العملية يكتسب الطفل قدرة تواصلية (أي مجموعة من الملكات اللغوية وغير اللغوية المتفاعلة).

جـ–يتم اكتساب هذه القدرة التواصلية في مراحل يحصّل عبرها الطفل مستويات متفاوتة.

د–يواجه الطفل محيطه اللغوي وتفاعله معه بعُدَّةٍ فطْرية تسهل عملية الاكتساب وتعجّل بها. ومن الممكن أن نفترض أنّ هذه العُدّة الفطرية تتمثل في الإطار العام لنموذج المتواصلين وفي نموذج مستعملي اللغة الطبيعية على وجه الخصوص.

إنّ هذا التصوّر الأولي لعملية الاكتساب في نظرية النحو الوظيفي يغلّب عامل المحيط اللغوي دون أن يغفل العامل الفطري الذي دونه يصبح من العسير تفسير السرعة التي يتم بها اكتساب الطفل للغة.

ومن معايير الكفاية التي اعتمدتها نظرية النحو الوظيفي معيار الواقعية النفسية واصطلحت عليه بمصطلح "الكفاية النفسية" الذي يحدّده ديك (ديك 1997) كالآتي: "تنقسم النماذج النفسية بطبيعة الحال إلى نماذج إنتاج ونماذج فهم. تحدّد نماذج الإنتاج كيف يبني المتكلم العبارات اللغوية وينطقها، في حين تحدّد نماذج الفهم كيفية تحليل المخاطب للعبارات اللغوية وتأويلها. وعلى النحو الوظيفي الذي يروم الوصول إلى الكفاية النفسية أن يعكس بطريقة أو بأخرى ثنائية الإنتاج/ الفهم هذه.

ويتعين على النّحو الذي يسعى في تحصيل هذه الكفاية أن يستجيب للمقتضيين الآتيين:

أولا: أن يقصى من إواليات ما ثبت عدم واقعيّته النفسية أو ما يشكّ في واقعيته النفسية، كالقواعد التحويلية مثلا. وقد بُني النحو الوظيفي منذ البداية (ديك 1978) على أساس عدم استخدام هذا الصّنف من القواعد في أي مرحلة من مراحل اشتقاق العبارات اللغوية.

ثانيا: بناء وصياغة النحو على أساس تضمّنه لجهازين اثنين: جهاز توليد (مولد) وجهاز تحليل (محلل). وقد قدّم أحمد المتوكل في هذا الإطار حوسبة النحو الوظيفي (ديك وكونوللي 1989، ديك وكاهرل 1992) حيث أضيف في القالب النحوي إلى جهاز التوليد الذي يضطلع بإنتاج العبارات، جهاز تحليل يقوم بالوظيفة العكسية حيث يُمكّن من إرجاع العبارات المتحققة إلى بنياتها التحتية.

3_الكفاية النمطية:

من خصائص الأنحاء التقليدية أنها كانت تكتفي بالتقعيد للغة واحدة (العربية أو الفرنسية أو غيرهما)، وأنها كانت تروز قواعدها انطلاقا من معطيات تلك اللغة الواحدة. ومن المعلوم أيضا أنّ النظريات اللسانية الحديثة تستهدف، بخلاف الأنحاء التقليدية، وصف وتفسير خصائص اللغات الطبيعية على اختلافها. وتأخذ هذه النظريات في مسعاها ذلك منحيين أساسيين اثنيين: منحى نمطي ومنحى كلّي يتمثل أساسا في نظرية النحو التوليدي.

تروم الدراسات النمطية تروم وصف خصائص أكثر عدد من اللغات وإرجاعها إلى أنماط معيّنة على أساس معايير معينة كمعيار الرتبة في الجملة وداخل المركب الاسمي.

أما النظريات التي تسير في المنحى الكلّي فإنّ هدفها وضع نحو كلّي للملكة اللسانية تتفرّع عنه حسب وسائط معينة أنحاء للغات الخاصة.

لتتخذ نظرية النحو الوظيفي منحى وسطا يعّرفه "ديك" (ديك 1997) بين خطي الكلية والنمطية كالآتي: "يزعم المنظرون للسان الطبيعي أنّ بإمكانهم حصر الاهتمام في لغة واحدة، أو في عدد من اللغات بينما يقارب النمطيّون اللغات مقاربة "محايدة نظريّا" تعتمد منهجا استقرائيا شبه تام. إنّ الدراسة النمطية لا تكون ذات نفع إلا إذا أطّرتها مجموعة من الفرضّيات النظرية ولا تكون في المقابل النظرية اللسانية ذات كبير جدوى إلا إذا كشفت عن مبادئ وقواعد ذات انطباقية واسعة النّطاق."

يمكن للنحو أن يحصّل الكفاية النمطية حين يستطيع أن يبني أوصافا للغات تنتمي إلى أنماط مختلفة، وأن يرصد في الوقت ذاته، ما يؤالف بين هذه اللغات المتباينة نمطيا وما يخالف بينها.

للاستجابة إلى ما يقتضيه الكفاية النمطية يجب أن تتّسم النظرية بسمتين اثنتين – تبدوان متناقضتين– في ذات الوقت وهما سمتا "التجريد" و "الملموسية". فالنظرية اللغوية يجب أن ترقى إلى درجة معقولة من التجريد لتستطيع أن تطبّق على لغات متباينة نمطيا

كما يجب أن نظل، في نفس الوقت أقرب ما يكون أن تكون، من الوقائع اللغوية للغات معينة كان من العسير انطباقها على لغات أخرى وإذا كانت موغلة في التجريد أصبحت عاجزة عن رصد الوقائع اللغوية كما تتحقق في لغات معينة.

وهكذا يتعيّن على النظرية الرامية إلى الحصول على درجة معقولة من الكفاية النمطية أن تصوغ مبادئها وقواعدها وتمثيلاتها متوخيّة توسّطا بين التّجريد والملموسية يؤهلها لوصف أكبر عدد ممكن من اللغات الطبيعية دون الإخلال بضبط تحققات الوقائع اللغوية داخل كل لغة.

قائمة المصادر و المراجع المعتمدة في المحاضرة:

_أحمد المتوكل:

_المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي –الأصول والامتداد–، دار الأمان، الرباط، ط1، 2006.

_قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، لبنان، ط1، 2013.

–قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، –بنية الخطاب من الجملة إلى النص– ،دار الأمان،الرباط،2001

_التركيبات الوظيفية –قضايا ومقاربات–، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2005.

_اللسانيات الوظيفية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت_لبنان، ط2، 2010.

_الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، لبنان، ط1، 2016.

_**محمد حسن مليطان**، نظرية النحو الوظيفي –الأسس والنماذج والمفاهيم–، دار الأمان، الرباط–المغرب، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، لبنان، ط1، 2014.

_**يحي بعيطيش**، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة في اللسانيات الوظيفية، إشراف: عبد الله بوخلخال، جامعة منتوري –قسنطينة–، الجزائر، السنة الجامعية 2006–2005.